# ٣٢ إتحاف الأنام بفضائل الشام

## الخُطْبَةُ الأُولَىٰ:

إِنَّ الحَمْدَ للهِ،نَحْمدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ،وَنَعُوذُ باللهِ مِنْ شُرُور أَنْفُسنَا وَمِنْ سَيِّئَات أَعْمَالنَا،مَنْ يَهْده اللهُ فَلَا مُضلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلِل فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ ﴾ [النِّسَاء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾[الأَحْزَاب:٧٠-٧١].

**أَمَّا بَعْدُ :**

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيث كتَابُ الله، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّد، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

**أيها المسلمون:** لقد وردت أدلة كثيرة وفضائل عظيمة للشام وأهله نذكر ما يسر الله ذكره في هذه الجمعة المباركة وما حبا الله تلك البلاد المباركة من الخصائص والفضائل ﴿ وَرَبُّكَ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخۡتَارُۗ ﴾ [القصص٦٨] .

والشام هي سورية ولبنان وفلسطين والأردن، وفي لسان العرب [١] أن أجناد الشام خمسة : دِمَشْق ، وحِمْص، وقِنَّسْرِين، والأُرْدُنُّ ، وفِلَسْطِين.

وقال ابن الفقيه الهمداني : أجناد الشام أربعة ، حمص ودمشق وفلسطين والأردن. [٢]

ولقد كان السلف يرغبون في سكنى الشام قال : عطاء الخراساني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لما هممت بالنقلة شاورت من بمكة والمدينة والكوفة والبصرة وخراسان من أهل العلم فقلت أين ترون لي أنزل بعيالي؟. فكلهم يقولون عليك بالشام. [٣]

وقد رغب النبي ﷺ قبل ذلك بسكنى الشام فعند الترمذي [٤] عن عبد الله بن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال : قال رسول الله ﷺ : [ **ستخرج نار من حضرموت أو من نحو حضرموت ،قبل يوم القيامة تحشر الناس** ] قالوا يا رسول الله : فما تأمرنا ؟، قال: [ **عليكم بالشام** ].

وفي مُسند الإمام أحمد وجامع الترمذي [٥] عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده قال : قلت : يا رسول الله أين تأمرني قال : هاهنا ونحا بيده نحو الشام قال: [ **إنكم محشورون رجالًا وركبانًا وتجرون على وجوهكم.**

وعن عبد الله بن عمرو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : [ **ستكون هجرة بعد هجرة فخيار أهل الأرض ألزمهم مهاجر إبراهيم ويبقى في الأرض شرار أهلها تلفظهم أرضوهم وتقذرهم نفس الله**

(١) لسان العرب (٣/ ١٣٢).
(٢) وا قدساه (١/ ٨٩) للعفاني .
(٣) ترغيب أهل الإسلام في سكنى الشام ص(٢٨ـ٢٩) للعز بن عبد السلام .
(٤) صحيح الترمذي برقم (٢٢١٧).
(٥) أحمد برقم (٢٠٠٣١) وصحيح الترمذي برقم (٢١٩٢).

**وتحشرهم النار مع القردة والخنازير ].** (١)

قال الإمام ابن جرير الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى (٢): لا خلاف بين جميع أهل العلم أن هجرة إبراهيم من العراق كانت إلى الشام وبها كان مقامه أيام حياته.

وقال الخطابي رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند شرحه لهذا الحديث [ ستكون هجرة بعد هجرة ] معنى الهجرة الثانية الهجرة إلى الشام يرغب في المقام بها وهي مهاجر إبراهيم صلوات الله عليه. (٣)

وقد سمى الله تبارك وتعالى الشام بالأرض المباركة في أكثر من آية في كتابه الكريم ، قال الله تعالى : ﴿ وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَـٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَـٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟ ۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾ ﴾ [الأعراف١٣٧] .

قال الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ﴿ مَشَـٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَـٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا ۖ ﴾هي مشارق الشام ومغاربها.

وقال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَـٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ فَمَا ٱخْتَلَفُوا۟ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾ [يونس٩٣] .

قال قتادة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: بوأهم الشام وبيت المقدس.

---

(١) صحيح الترغيب برقم (٣٠٩١).
(٢) تفسير الطبري (١٩/ ٣١٥).
(٣) معالم السُنَن (٢/ ٢٠٤).

وقال تعالى : ﴿ سُبْحَانَ ٱلَّذِيٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِي بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾ ﴾ [الإسراء١] .

قال الإمام العز بن عبد السلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: اختلف العلماء في هذه البركة فقيل هي بالرسل والأنبياء وقيل بما بارك فيها من الثمار والمياه. (١)

ولا شك أن هذه البركة غير مقيدة وغير محددة فهي شاملة لكل أنواع البركة ، البركة الإيمانية، والبركة الأخلاقية ،والبركة التاريخية، والبركة السياسية والاجتماعية والجهادية. (٢)

وقال الله تعالى :﴿ وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ ﴾ [الأنبياء:٧١] .

وقال تعالى :﴿ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا ۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَٰلِمِينَ ﴿٨١﴾ ﴾ [الأنبياء:٨١] .

وقال تعالى :﴿ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَٰهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ ۖ سِيرُوا۟ فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴿١٨﴾ ﴾ [سبأ:١٨] .

قال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا : ﴿ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَٰهِرَةً ﴾ قال : الأرض التي باركنا فيها : هي الأرض المقدسة. (٣)

وقال تعالى عن موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أنه قال لقومه : ﴿ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾ ﴾ [المائدة:٢١] .

(١) ترغيب أهل الإسلام في سكنى الشام ص(٢٤) للعز بن عبد السلام .
(٢) وا قدساه (١/ ٨٦) للعفاني.
(٣) تفسير الطبري (١٩/ ٢٦١).

والأرض المقدسة : أي المطهرة المباركة.

قال قتادة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هي الشام.

وقال تعالى :﴿ وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴿٥٠﴾ ﴾ [المؤمنون:٥٠] .

قال قتادة رَحِمَهُ ٱللَّهُ : هو بيت المقدس.

كذلك أرض الشام فيها الطور الذي كلم الله عليه موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ، قال الله تعالى :﴿ وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾ ﴾ [مريم:٥٢] .

والذي أقسم الله به في سورة الطور ، قال تعالى : ﴿ وَٱلطُّورِ ﴿١﴾ وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ ﴿٢﴾ ﴾ [الطور:١ـ٢] .

وقال تعالى :﴿ وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ﴿١﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾ ﴾ [التين:١ـ٢] .

ومن مناقب الشام أن فيها المسجد الأقصى ، وإليها المعراج ومسرى نبينا محمد ﷺ ، وأنها مبعث الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

**عباد الله:** ولقد جعل الله عَزَّوَجَلَّ للشام فضائل كثيرة من ذلك أن ملائكة الرحمن باسطة أجنحتها عليها ففي سُنَن الترمذي[1] عن زيد بن ثابت رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال : كنا عند رسول الله ﷺ نؤلف القرآن من الرقاع ، فقال رسول الله ﷺ : [**طوبى للشام** ] ، فقلنا : لأي ذلك يا رسول الله ؟، [ **قال: لأن ملائكة الرحمن باسطة أجنحتها عليها** ].

وفي رواية [**يا طوبى للشام، يا طوبى للشام، يا طوبى للشام** ] [2]

وهذا دعاء عظيم، والمعنى أي راحة وطيب عيش حاصل للشام وأهله.

(١) صحيح الترمذي برقم ( ٣٩٥٤).
(٢) فضائل الشام ودمشق برقم ( ١ ) تحقيق الألباني.

ومن فضائل الشام أن الرسول ﷺ دعا للشام واليمن بالبركة كما جاء في صحيح البخاري[1] وغيره عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ : [**اللهم بارك لنا في شامنا اللهم بارك لنا في يمننا** ] . قالوا يا رسول الله وفي نجدنا ؟، قال: [ **اللهم بارك لنا في شامنا ،اللهم بارك لنا في يمننا**]. قالوا : يا رسول الله وفي نجدنا ؟، فأظنه قال في الثالثة: [ **هناك الزلازل والفتن وبها يطلع قرن الشيطان** ].

والحمد لله رب العالمين .

(١) البخاري برقم ( ٧٠٩٤).

## الخطبة الثانية :

الحمد لله يقص الحق وهو خير الفاصلين والصلاة والسلام على رسوله الأمين وعلى آله وأصحابه والتابعين وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين .

**أما بعد :**

فإن الله تعالى قد تكفل بالشام وأهله ففي سُنَن أبي داود [١] عن ابن حوالة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ : [سيصير الأمر إلى أن تكونوا جنودًا مجندة جند بالشام، وجند باليمن ،وجند بالعراق ] قال ابن حوالة: خر لي يارسول الله إن أدركت ذلك فقال : [ عليك بالشام فإنها خيرة الله من أرضه، يجتبى إليها خيرته من عباده ،فأما إن أبيتم فعليكم بيمنكم واسقوا من غدركم ، فإن الله توكل لي بالشام وأهله ].

ومعنى جنودًا مجندة: أي مجتمعة وقيل مختلفة.

ومعنى خر لي: أي اختر لي خير تلك ألأماكن.

ومعنى غُدركم: جمع غدير وهو الحوض.

ومعنى توكل لي: أي تكفل الله وضمن.

ومعنى يجتبي إليه: أي يختار ويصطفي.

وكان أبوإدريس رَحِمَهُ اللَّهُ: إذا حدث بهذا الحديث يقول: ومن تكفل الله به فلا ضيعة عليه.

---

(١) صحيح أبي داود برقم (٢٤٨٣).

وفي هذا الحديث دليل على أن الشام خيرة الله من أرضه وقد قال رسول الله ﷺ : [... **فخيار أهل الأرض ألزمهم مهاجر إبراهيم..**].

ومن فضائل الشام أنها أرض المحشر والمنشر ففي البيهقي [١] عن أبي ذر رضي الله عنه أنه سأل رسول الله ﷺ عن الصلاة في بيت المقدس أفضل أو في مسجد رسول الله ﷺ فقال :[ **صلاة في مسجدي هذا أفضل من أربع صلوات فيه ولنعم المصلى هو أرض المحشر والمنشر وليأتين على الناس زمان ولقيد سوط أوقال قوس الرجل حيث يرى منه بيت المقدس خير له أوأحب إليه من الدنيا جميعًا** ].

وقد قال الله تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخۡرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمۡ لِأَوَّلِ ٱلۡحَشۡرِ ﴾ [الحشر ٢] .

وفي جامع الترمذي [٢] عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده قال : قلت: يا رسول الله أين تأمرني قال : هاهنا ونحا بيده نحوالشام قال: [ **إنكم محشورون رجالًا وركبانًا وتجرون على وجوهكم** ].

ومن فضائل الشام أن بها مدينة دمشق من خير مدائن الشام ففي سُنَن أبي داود [٣] عن أبي الدرداء رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: [ **إن فسطاط المسلمين يوم الملحمة بالغوطة ، إلى جانب مدينة يقال لها دمشق ، من خير مدائن الشام** ].

والفسطاط: المدينة التي يجتمع فيها الناس، والمعنى أن مدينة دمشق تكون حصنًا للمسلمين، يتحصنون فيها من الفتن في آخر الزمان.

---

(١) البيهقي برقم (٤١٤٥) وصحيح الترغيب والترهيب برقم (١١٧٩).
(٢) صحيح الترغيب برقم (٣٠٩١) وقال صحيح لغيره.
(٣) صحيح أبي داود برقم (٤٢٩٨) .

والملحمة المقتلة العظيمة.

ومن فضائل الشام أن نزول عيسى ابن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ في آخر الزمان يكون بها ففي صحيح مسلم [١] عن النواس بن سمعان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله ﷺ : [..**إذ بعث الله المسيح ابن مريم فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق** ...].

ومن فضائل الشام أن بها الطائفة المنصورة إلى قيام الساعة ففي مُسند الإمام أحمد [٢] عن قرة بن إياس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله ﷺ: [**إذا فسد أهل الشام فلا خير فيكم ،ولا يزال أناس من أمتي منصورين لا يبالون من خذلهم، حتى تقوم الساعة** ].

وفي صحيح مسلم [٣] عن سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله ﷺ : [ **لا يزال أهل الغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة** ] .

وأهل الغرب: قال الإمام أحمد : هم أهل الشام.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ : أهل الغرب هم أهل لشام.

والمراد أن هذه الطائفة في الشام وفي غيرها والمراد بقوله في الشام أي إما في غالب الأوقات أوفي آخر الزمان.

ومن فضائل الشام أن عمود الكتاب والإسلام بها ففي مُسند الإمام أحمد [٤] عن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله ﷺ : [ **بينا أنا نائم إذ رأيت عمود الكتاب احتمل من تحت رأسي فظننت إنه مذهوب به فاتبعته**

(١) مسلم برقم (٢٩٣٧) .
(٢) أحمد برقم (١٥٥٩٦).
(٣) مسلم برقم (١٩٢٥) .
(٤) أحمد برقم (٢١٧٣٣) .

**بصري فعمد به إلى الشام ألا وإن الإيمان حين تقع الفتن بالشام ].**

وعند الإمام الحاكم [١] عن عبد الله بن عمروبن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ: [ **إني رأيت كأن عمود الكتاب انتزع من تحت وسادتي فأتبعته بصري فإذا هو نور ساطع عمد به إلى الشام ألا وإن الإيمان إذا وقعت الفتن بالشام ].**

ومن فضائل الشام أنها عقر دار المؤمنين لحديث سلمة بن نفيل الكندي قال : قال رسول الله ﷺ : [... **وعقر دار المؤمنين الشام ].** [٢]

ومعنى عقر دار المؤمنين: أي أصله وموضعه.

وقد جاء عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه سمع رسول الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول : [**إذا وقعت الملاحم بعث الله من دمشق بعثًا من الموالي، أكرم العرب فرسًا وأجودهم سلاحًا ، يؤيد الله بهم الدين ].** [٣]

ومن فضائل الشام ما جاء عند الإمام أحمد [٤] عن العرباض بن سارية السلمي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : [ **إني عبد الله في أم الكتاب لخاتم النبيين، وان آدم لمنجدل في طينته وسأنبئكم بتأويل ذلك ، دعوة أبي إبراهيم ،وبشارة عيسى قومه، ورؤيا أمي التي رأت أنه خرج منها نور أضاءت له قصور الشام ].**

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى [٥]: وفيه بشارة لأهل محلتنا أرض

---

(١) المستدرك (٤/ ٥٠٩) .
(٢) صحيح النسائي برقم (٣٥٦٣) .
(٣) فضائل الشام ودمشق برقم (٢٨) تحقيق الألباني .
(٤) أحمد برقم (١٧١٦٣) .
(٥) البداية والنهاية (٢/ ٤١١) .

بصرى وإنها أول بقعة من أرض الشام خلص إليها نور النبوة ، ولله الحمد والمنة.

**عباد الله:** فأهل الشام ميزان للصلاح والفساد في أمة الإسلام والعبرة بالاستقامة والعمل الصالح كما قال : سلمان الفارسي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لأبي الدرداء حينما دعاه أن يهاجر من العراق إلى الشام : أما بعد ؛ فإن الأرض المقدسة لا تقدس أحدًا وإنما يقدس الإنسان عمله. (١)

والحمد لله رب العالمين .

(١) الصحيحة (٥/ ٣٠٥) .